القرآن الكريم ونهضة الأمة
دراسة تحليلية موازنة بين تفسيري المنار والظلال

سعاد أحمد علي شولاق*

تتتبع هذه الدراسة نظرة تفسيرَينِ محسوبَينِ على اتجاه ما يعرف بتفاسير النهضة في العصر الحديث للقرآن الكريم بصفته مقوما من مقومات نهضة الأمة الإسلامية، وتهدف الدراسة من خلال ذلك إلى إبراز رؤية كل من التفسيرين باتجاهيهما الفكريين لقضية النهضة بصفة عامة، والقرآن الكريم بصفته أحد أهم مقوماتها بصفة خاصة؛ متخذة من الموازنة التحليلية بين التفسيرين في ذلك منهجا لها.

وبدأت الدراسة بتعريف موجز لمصطلح النهضة ثم عرفت بصورة موجزة أيضا بالتفسيرين موضوع الدراسة، ثم وازنت بينهما في معالجتهما للقرآن الكريم مقوما من مقومات النهضة.

الكلمات المفتاحية:

النهضة- تفسير المنار – تفسير الظلال- محمد رشيد رضا

The Holy Quran and The Renaissance of Ummah
Analytical and Comparative Study between Tafseer Al Manar and Tafseer Al Zelal

This study traces the vision of two central interpretations on the course of the Renaissance interpretations in the modern era of the Holy Qur'an as a component of the Renaissance of the Islamic Ummah. Through this approach, this study aims at highlighting the vision of both interpretations and their intellectual trends toward the Renaissance issue in general, and the Holy Qur'an as one of the most important elements of the Renaissance in particular.This study is based on the analytical comparison between the two interpretations in this regard. The study began with a brief definition of the term "Renaissance" and then began to define the concept of the two interpretations of the study as well. Then it made a comparison between such interpretations in terms of addressing the Holy Qur'an as one of the most important elements of the Renaissance.

* أستاذ مساعد بكلية الإلهيات جامعة قسطمونى، تركيا

مقدمة:

تتتبع هذه الدراسة نظرة تفسيرين محسوبين على اتجاه ما يعرف بتفاسير النهضة في العصر الحديث للقرآن الكريم بصفته مقوما من مقومات نهضة الأمة الإسلامية، وتهدف الدراسة من خلال ذلك إلى إبراز رؤية كل من التفسيرين باتجاهيهما الفكريين لقضية النهضة بصفة عامة، والقرآن الكريم بصفته أحد أهم مقوماتها بصفة خاصة؛ متخذة من الموازنة التحليلية بين التفسيرين في ذلك منهجا لها.

وجاءت الدراسة في تمهيد عرفت فيه بصورة موجزة بالتفسيرين موضوع الدراسة، ثم مبحثين؛ **الأول** منهما تناولت فيه مصطلح النهضة وإشكاليات تعريفه وعلاقة القرآن الكريم بالنهضة بصورة عامة.

والثاني: جاء للموازنة بين رؤية التفسيرين (المنار والظلال) للقرآن الكريم بصفته مقوما من مقومات النهضة، ثم خاتمة البحث وقائمة مراجعه.

تمهيد:

أولا: تفسير المنار (تفسير القرآن الحكيم):

يمثل تفسير المنار أحد شقي المادة العلمية التي تقوم عليها هذه الدراسة، ومن ثم يتوجب علينا أن نعرض تعريفا به فيما يلي:

ولدت فكرة تفسير المنار بعد العلاقة الوطيدة التي توثقت بين الإمام محمد عبده، وتلميذه السيد محمد رشيد رضا، وحدث ذلك بعد وصول الإمام إلى مصر في شعبان سنة ١٣١٥ هـ، عندما تحدث له السيد محمد رضا حول إصلاح الأزهر، حيث طلب منه في نفس الوقت أن يكتب تفسيراً للقرآن ينفخ فيه من روحه التي تجلت في مقالات محمد عبده بأن القرآن لا يحتاج إلى تفسير كامل من كل وجه؛ لأن هناك تفاسير كثيرة أتقنها بعض المفسرين دون غيرهم، لكن الحاجة شديدة إلى تفسير بعض الآيات، وربما لا يتسع العمر لتفسير كامل، وعندئذٍ اكتفى السيد محمد رشيد رضا بأن اقترح على الأستاذ الإمام قراءة دروس في التفسير[١].

ويروي الشيخ رضا نفسه في مقدمة تفسير المنار إلحاحه على أستاذه محمد عبده في دروس التفسير فيقول:" ولم أزل به حتى أقنعته بقراءة التفسير في الأزهر فاقتنع وبدأ بالدرس بعد ثلاثة أشهر ونصف أي في غرة المحرم سنة ١٣١٧ هـ وانتهى منه في

(١) انظر : أثر الاتجاه العقلي السلبي في تفسير المنار ٤٥.

منتصف المحرم سنة ١٣٢٣ هـ عند تفسير قوله تعالى : (وكان الله بكل شيء محيطا) من الآية ١٢٦ من سورة النساء ، فقرأ زهاء خمسة أجزاء في ست سنين، إذ توفي لثمان خلون من جمادى الأولى منها رحمه الله تعالى وأثابه"[٢] .

وكان الشيخ رضا ألزم الناس لدروس الأستاذ، وأحرصهم على تلقيها، وضبطها، فكان يكتب بعض ما يسمع ثم يزيد عليه بما يذكره من دروس الشيخ بعد ذلك، ثم قام بنشر ما كتب على الناس في مجلته المنار، ولكنه لم يفعل ذلك إلا بعد مراجعة أستاذه، وتناوله له بالتنقيح والتهذيب.[٣]

ويبتدئ تفسير المنار بأول القرآن، وانتهى عند الآية (٥٢) من سورة يوسف، وهي قوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾، فتوفي قبل أن يتم تفسير القرآن الكريم[٤].

وطبع ذلك القدر من التفسير في اثني عشر مجلدا كبارا عدة طبعات ، اعتمدنا منها على طبعة الهيئة العامة المصرية للكتاب.

ثانيا: تفسير الظلال (في ظلال القرآن):

وهو الشق الثاني من مادة الدراسة التي يقوم عليها البحث، وهو تفسير "في ظلال القرآن "، للشهيد سيد قطب، وهو كما يعده أحد الباحثين لونا جديدا من التفسير، يسميه بالتفسير الحركي للقرآن الكريم[٥] ، ويعده آخر تفسيرا سياسيا للقرآن الكريم[٦].

على حين يعده آخرون من التفسيرات الأدبية للقرآن الكريم، فهو وصف أدبي متميز للحياة كما يرسمها القرآن الكريم، وهو في هذا أيضا سابق غير مسبوق، "فمنهج التذوق الأدبي للقرآن الكريم، والتفاعل مع المجتمع الذي ترسمه الآيات ومطابقته مع المجتمع الحاضر للخروج بمعالم التصحيح ورسم مسار الدعوة والعودة، ثم دراسة

(٢) تفسير المنار ١٤/١.

(٣) انظر التفسير والمفسرون ، للذهبي ٤٢٣/٢.

(٤) انظر تفسير المنار للشيخ رشيد رضا، الهيئة العامة المصرية للكتاب.

(٥) انظر : سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، صلاح الخالدي ، صـ٥٤٧.

(٦) انظر في ظلال القرآن رؤية استشراقية فرنسية، أوليفيه كاريه، ترجمة محمد عجاج ، الزهراء للإعلام العربي، ط١، سنة١٩٩٣، ص ٢٤.

الإيقاع الصوتي والجرس اللفظي للكلمات القرآنية، ودراسة التراكيب منهج لم يسبق له مثيل في علم التفسير"[٧].

وقد ألف الشهيد تفسير الظلال وأتمه وهو في السجن ، فعلى الرغم من أن لوائح السجون كانت تمنع الكتابة في السجن فإن الله يسر لمؤلفه كتابته ويسر طبعه ونشره إذ كان صاحبه قد اتفق مع الناشر على نشره قبل السجن ، ولما سجن رفع الناشر دعوى يطالب الحكومة فيها بتعويض عما لحقه من أضرار، فسمحت الحكومة للشهيد سيد قطب أن يتم التفسير وينشره الناشر بدلا من أن تعوض الناشر بآلاف الجنيهات، وقد عينت الحكومة الشيخ محمد الغزالي رقيبا على التفسير يطلع على أصوله قبل صدورها من المطبعة، وقد أجاز الغزالي كل أجزاء وملازم الظلال في طبعته الأولى، ولم يحذف منه إلا تعقيب المؤلف على سورة البروج. [٨]

وطبع تفسير الظلال بعد استشهاد مؤلفه عدة طبعات إلا أن الشرعية منها هي طبعة دار الشروق وجاءت في ستة مجلدات من القطع الكبير ، تضم تفسير القرآن الكريم من أوله إلى آخره.

المبحث الأول: مصطلح النهضة وإشكاليات تعريفه، وعلاقة القرآن الكريم به بصفة عامة:

أولا: مصطلح النهضة وإشكاليات تعريفه: من الواجب علينا ونحن في هذه الدراسة أن نجلي مفهوم النهضة ما دمنا نبحث في مقوماتها، ونبتدئ في عرضنا لهذه الإشكالية ببيان المعنى المعجمي للنهضة.

فقد حدد ابن فارس اللغوي المعنى العام الذي تدور حوله مادة نهض، فقد جاء في معجمه الفريد (مقاييس اللغة) أن: النون والهاء والضاد أصل يدل على حركة في علو، ونهض من مكانه قام"[٩].

وقد جاء في معجم العين (النهوض): البراح من الموضع، والناهض الفرخ الذي وفر جناحاه ونهض للطيران"[١٠]، وقد جاء في معجم الأفعال "نهض عن مكانه نهوضًا: زال وإلى الشيء تحرك"[١١].

(٧) بحوث في أصول التفسير ومناهجه، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ، مكتبة التوبة، صـ١٦٢.

(٨) انظر : سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، صلاح الخالدي ، صـ٥٤٦.

(٩) مقاييس اللغة لابن فارس نهض ٣٦٣/٥.

(١٠) العين الخليل بن أحمد نهض ٤٠٨/٣.

(١١) الأفعال ٢٣٨/٣ - ٢٣٩.

أما صاحب اللسان وصاحب التاج وصاحب القاموس فجميعهم ذكروا دلالة العلو مع المادة في قولهم: "النهوض: البراح عن الموضع والقيام عنه[١٢] .

أما عن المعنى الاصطلاحي لمادة (نهض) ذلك المعنى المتعارف عليه في الدراسات الاجتماعية في العصر الحديث فقد نص عليه من المعاجم اللغوية المعجم الوسيط، فقد جاء فيه: "النهضة: الطاقة والقوة والوثبة في سبيل التقدم الاجتماعي أو غيره" [١٣].

وحين نتحدث عن النهضة مصطلحًا فإننا نلحظ الكثير من الخلط والاضطراب في تحديد هوية هذا المصطلح؛ حيث إن مفهوم النهضة يتداخل ويتشابك مع كثير من المفاهيم الأخرى التي تتقارب معه أحيانا كثيرة وتتباعد عنه أحايين أخرى مثل (الحضارة- الثقافة- الإحياء – البعث- التقدم – الإصلاح).

إلا أنه من المؤكد في نظرنا أن النهضة إنما هي مفهوم معنوي واضح لدى الجميع يحث على تحقيق أفضل صورة للمجتمعات العمرانية.

"وعلى الرغم من شيوع مصطلح النهضة في الأدبيات الفكرية؛ فإننا لا نكاد نعثر على تحديد دقيق يقع الاتفاق عليه بين الباحثين والمفكرين، ولا ينبغي أن نفهم من هذا أننا لا نجد عند رواد النهضة الأوائل أو حتى عند المعاصرين أي نوع من التحديد لهذا المفهوم، لكن المؤكد أن السمة البارزة لما يكتب عن النهضة هو الطابع الأيديولوجي.. إنه انخراط في حركية النهضة وسعي لأن تكون محققة للمطالب المختلفة "[١٤].

وإذا ما رحنا نبحث عن لفظ النهضة في الاستخدام الأوربي فسنجده "يدل على فترة تاريخية بكاملها بما اشتملت عليه من تحولات في الوقائع والأفكار في الوقت ذاته فالدلالات الاصطلاحية لمفهوم النهضة تتعلق إذن بالتاريخ وتشير هذه الدلالات إلى حركة العودة إلى أصول قديمة هي بالنسبة للأوربيين الأصول اليونانية واللاتينية وذلك لجعل هذه الأصول نقطة انطلاق لتفكير جديد ومن أجل عصر جديد فالنهضة الأوربية كانت رجوعا إلى الوراء من أجل سير أفضل إلى الأمام وكذلك كان الأمر

(١٢) لسان العرب لابن منظور، (نهض) ٢٤٥/٧، وانظر القاموس المحيط (نهض) ٨٤٦/١ – ٨٤٧ والتاج (نهض) ٩٨/٩.

(١٣) المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ، القاهرة ، (نهض) ٩٥٩/٢.

(١٤) لماذا أخفقت النهضة العربية، أحميدة النيفر ، ومحمد وقيدي ، دار الفكر دمشق، صـ ٢٩-٣٠.

بالنسبة للمسلمين، ولكن لم تكن تلك الأصول بالنسبة للمسلمين متمثلة في التراث اليوناني واللاتيني، بل كانت في التراث الإسلامي، وكان الهدف أيضًا هو العودة إلى التراث في صفائه مجردًا عن كل ما أضفته عليه قرون الركود من طابعها فجعلته تراثا يقوم على تكرار ليس فيه إبداع، غير أن ما تجدر الإشارة إليه هو أن رجوع المسلمين إلى تراثهم القديم كان بالنسبة إلى مفكري هذا الزمن الذي ندعوه بعصر النهضة عودة إلى قاعدة للانطلاق منها إلى أمام. كان هدف مفكري الإسلام هو البحث عن السبل التي تضمن للعلوم الإسلامية النهوض بعد فترة ركود في الحضارة الإسلامية دامت قرونًا"(١٥) .

ومن هنا يرى الدكتور محمد عابد الجابري أن "التفكير في النهضة بالنسبة إلى الفكر العربي بحث عن مشروع وتفكير في نموذج" (١٦) .

ويجب علينا أن نعرف جيدا أن مشكلة النهضة وعوائقها بالنسبة لنا " هي مشكلتنا العقلية ونحن لازلنا نسير ورءوسنا في الأرض وأرجلنا في الهواء وهذا القلب للأوضاع هو المظهر الجديد لمشكلة نهضتنا"(١٧).

ويجب أن نعي جيدا حين نتحدث عن نهضة جديدة أو نهضة مأمولة دور العامل الزمني الذي نحدد من خلاله المفاهيم والمصطلحات؛ حتى لا يُشَوَش علينا فهمها، وهذا ما يؤكده مالك بن نبي حيث يقول: إننا " إذا ما حددنا مكاننا في دورة التاريخ سهل علينا أن نعرف عوامل النهضة أو السقوط في حياتنا"(١٨).

وهذا بالطبع يعني أن "منهج استيراد النهضة من الآخر يظل منهجا كسيحا، لنه يتجاهل السياق التاريخي لكل مجتمع، مما يوقع في التماثل والتماهي ، فيحال بينه وبين صياغة ذات فاعلة مستقلة"(١٩).

ويؤكد الدكتور محمد عمارة أن "رسول الله صلى الله عليه وسلم قد علمنا السنة والقانون الذي يحكم خط سير التاريخ وما يشهده هذا التاريخ – بالنسبة للأمم والحضارات – من تقدم وصعود ونهوض أو تخلف وتراجع وانحطاط وهو قانون

(١٥) لماذا أخفقت النهضة العربية ص ٩١، ٩٣، ١١٩.

(١٦) الخطاب العربي المعاصر(دراسة تحليلية نقدية) ، محمد عابد الجابري ص٣، ١٨.

(١٧) شروط النهضة مالك بن نبي ص ٤٠.

(١٨) شروط النهضة، مالك بن نبي ص٥٢.

(١٩) لماذا أخفقت النهضة العربية صـ ٥٩.

(التداول والدوران) فعندما تمتلك الأمة – ممثلة في طلائعها – الوعي بالسنن الحاكمة والفقه للواقع والعقيدة التي تحرك طاقاتها للنهوض بمكونات هذا الواقع يكون التقدم والصعود والنهوض، وعندما تفتقد الأمة الوعي، أو تعجز عن القبض على مكونات الواقع، أو تفتقر إلى العقيدة المحركة للجماهير، والملهمة لصنع الملاحم والبطولات يكون التخلف والتراجع والانحطاط"(٢٠).

وأخيرا وبمطالعة تلك الآراء التي جهد أصحابها في الوقوف عليها وتخليصها من تداخلات غيرها معها، وهو دور لا ينكر لهم ؛ فإننا لا يعنينا بحسب طبيعة دراستنا تلك الفروق الدقيقة بين هذه المصطلحات المختلفة (النهضة- الحضارة – الثقافة- الإحياء – البعث- التقدم –الترقي- الشخوص) .

وإذا كان يشغل بال علماء الاجتماع ما بينها من فروق في المعنى الاصطلاحي، فإن الذي يشغل بال الباحث في حال الأمة الإسلامية والناظر إلى وضعها بين الأمم هو تحقق أي من هذه المعاني أيا كان هو، سواء كان تقدما أو نهضة أو رقيا أو صعودا أو حضارة أو غير ذلك مما يتداخل مع تلك المصطلحات.

ومن هذه الأرضية – البحث في حال الأمة الإسلامية- نرى أن هذه المصطلحات ما هي إلا دوال وعلامات لغوية لا قيمة في تحققها في ذاتها كمتواليات لغوية لفظية خالية من معناها، ولكن المهم والمرجو هو تحقق المعنى العام الذي تشير إليه جميعا، فلتنهض الأمة أو لتتحضر، أو لتصعد أو لترقى، أو لينصلح حالها، أو ليكن ما يكون من ذلك فكل ذلك هو مرجونا ومطلوبنا، ومرجو ومطلوب كل مسلم.

ثانيا: القرآن الكريم مقوما للنهضة: يمثل القرآن الكريم المحور الأول والأساس الأعظم لأية دراسة تقوم وتبحث في نهضة الأمة وإصلاحها، فهو "دستور الخالق لإصلاح الخلق، وقانون السماء لهداية الأرض، أنهى إليه منزله كل تشريع، **وأودعه كل نهضة وناط به كل سعادة**، وهو حجة الرسول وآيته الكبرى يقوم في فم الدنيا شاهدا برسالته ناطقا بنبوته دليلا على صدقه وأمانته، **وهو ملاذ الدين الأعلى** يستند الإسلام إليه في عقائده وعباداته وحكمه وأحكامه وآدابه وأخلاقه وقصصه ومواعظه وعلومه ومعارفه....**وهو أولا وآخرا القوة المحولة التي غيرت صورة العالم ونقلت حدود الممالك وحولت مجرى التاريخ وأنقذت الإنسانية العاثرة فكأنما خلقت الوجود خلقا جديدا** "(٢١).

(٢٠) الإسلام والتحديات المعاصرة د/محمد عمارة ص ٤.

(٢١) مناهل العرفان في علوم القرآن : ٨/١

فنهضة الأفراد والأمم لا يمكن أن تكون صحيحة عن تجربة ولا سهلة متيسرة ولا رائعة مدهشة إلا عن طريق الاسترشاد بتعاليم القرآن ونظمه الحكيمة التي روعيت فيها جميع عناصر السعادة للنوع البشري على ما أحاط به علم خالقه الحكيم. (٢٢)

لذلك كله كان القرآن الكريم موضع العناية الكبرى من الرسول صلى الله عليه وسلم وصحابته ومن سلف الأمة وخلفها جميعا إلى يوم الناس هذا.(٢٣)

وبذلك يتضح سر نهضة المسلمين التي حصلت لهم زعامة العلم والحكمة في العالم في سنين معدودة فإنهم لو كانوا بدءوا حياتهم العلمية على النحو الذي تبدؤها به كل أمة ما استطاعوا أن يبزوا الأمم التي تقدمتهم في هذا السبيل بقرون كثيرة، ولكنهم لبدئهم إياها مستنيرين بهذه الأصول القرآنية العالية بلغوا منها أوجا في مدى قصير لم تبلغه أمة في آماد طويلة(٢٤).

وهنا تلمح السر في تأخر مسلمة هذا الزمن على رغم وفرة المصاحف في أيديهم ووجود ملايين الحفاظ بين ظهرانيهم، وعلى رغم كثرة عددهم واتساع بلادهم، في حين أن سلفنا الصالح نجحوا بهذا القرآن نجاحا مدهشا كان وما زال موضع إعجاب التاريخ والمؤرخين مع أن أسلافنا أولئك كانوا في قلة من العدد وضيق من الأرض وخشونة من العيش ومع أن نسخ القرآن ومصاحفه لم تكن ميسورة لهم ومع أن حفاظه لم يكونوا بهذه الكثرة الغامرة.

أجل إن السر في ذلك هو أنهم توفروا على دراسة القرآن واستخراج كنوز هداياته، يستعينون على هذه الثقافة العليا بمواهبهم الفطرية وملكاتهم السليمة العربية من ناحية، وبما يشرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم ويبينه لهم بأقواله وأعماله وأخلاقه وسائر أحواله، كما قال سبحانه ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ (٢٥)(٢٦)

(٢٢) مناهل العرفان في علوم القرآن : ٧/٢

(٢٣) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن : ٨/١

(٢٤) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن : ٢٨٢/٢

(٢٥) سورة النحل : ٤٤/١٦

(٢٦) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن : ٧/٢

وهـا هـو ذا اليـوم ، وقـد اسـتدار الزمـان واشـتدت حاجـة البشـر إلـى إصـلاح القرآن[٢٧]، فعلى المسلمين اليوم أن يدركوا هذا الأمر الجلل وأن يجعلوا كتابهم نبراسا لهم في اقتباسهم العلم عن الأمم الغربية ليبلغوا منه ما بلغه أسلافهم في عهدهم الأول ويزيدوا عليه ما هدى إليه البشر في العصور الأخيرة.[٢٨]

فعلى الرغم من التقدم التقني الذي يعيشه العالم اليوم، وازدهار الصناعات والمخترعات، والأنظمة العالمية الجديدة، فقد أخفق بمنظماته ومؤسساته ومخترعاته أن يحقق السعادة للإنسان، أو أن يوفر الأمن والراحة للبشر، وها هي ذي نسب مرض العصر القلق والاكتئاب تزداد يوما بعد يوم، وها هو ذا الفقر والجهل، والجوع والقتل، والانتحار وانهيار القيم والمبادئ والأخلاق .. تتضاعف أرقامه كل عام.[٢٩]

إن القرآن الكريم سيبقى أساس المشروع النهضوي الإسلامي، بيد أن تفسيره واستنباط الأحكام منه يستدعي من كل المعنيين والمهتمين دراسة الوسائل المشروعة المستخدمة في الاستنباط والاستخراج والتفسير، من لغة عربية وسياقات قرآنية واصطلاحات إسلامية وأحاديث نبوية ذات صلة، وظروف حافة زمنية ومكانية. وإذا كان القرآن الكريم صالحاً لكل عصر كما هو معلوم في سجل مقولات الفكر الإسلامي فإنه يقتضي استنفاد وسائل كل عصر وتجييشها لعملية الاستنباط من القرآن الكريم، وها قد أفرز عصرنا اليوم ضوابط وقواعد للتعامل مع النص بشكل عام فلنسعَ إلى امتلاكها لتكون من ضمن وسائلنا[٣٠].

فبدهي أن العمل بتعاليم القرآن لا يكون إلا بعد فهم القرآن وتدبره والوقوف على ما حوى من نصح ورشد، والإلمام بمبادئه عن طريق تلك القوة الهائلة التي يحملها أسلوبه البارع المعجز، وهذا لا يتحقق إلا عن طريق الكشف والبيان لما تدل عليه ألفاظ القرآن وهو ما يسمى بعلم التفسير، خصوصا في هذه العصور الأخيرة التي

(٢٧) انظر الخلافة، محمد رشيد رضا : ١٥٧.

(٢٨) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن : ٢٨٢/٢.

(٢٩) مقال للدكتور إبراهيم الدويش منشور الموقع الإلكتروني لصحيفة الجزيرة السعودية، على الرابط التالي:
www.al-jazirah.com.sa/2008jazhd/may/30/is.htm

(٣٠) الشبكة الدولية للمعلومات (إنترنت) : الرابط التالي :
www.islamweb.net/ver2/archive/readArt.php?id=10811/
حوار أجراه موقع إسلام ويب مع الدكتور محمود عكام المتخصص في الفكر الإسلامي، والأستاذ في جامعة حلب

فسدت فيها ملكة البيان العربي وضاعت فيها خصائص العروبة حتى من سلائل العرب أنفسهم"[٣١].

لكن التفسير على نوعين بالإجمال: أحدهما تفسير جاف لا يتجاوز حل الألفاظ وإعراب الجمل وبيان ما يحتويه نظم القرآن الكريم من نكات بلاغية وإشارات فنية وهذا النوع أقرب إلى التطبيقات العربية منه إلى التفسير وبيان مراد الله من هداياته.

النوع الثاني: تفسير يجاوز هذه الحدود ويجعل هدفه الأعلى تجلية هدايات القرآن وتعاليم القرآن وحكمة الله فيما شرع للناس في هذا القرآن على وجه يجتذب الأرواح ويفتح القلوب ويدفع النفوس إلى الاهتداء بهدي الله وهذا هو الخليق باسم التفسير.[٣٢]

وإن تفسيري المنار والظلال لم يخرج أحدهما عن هذا النوع الثاني من التفاسير؛ إذ كان هم كل منهما استخراج ما في القرآن من تعاليم هادية وسبل آخذة بيد الأمة الإسلامية إلى النهضة والتقدم والرقي والعودة إلى سيادة هذا العالم كما كانت من قبل.

المبحث الثاني: القرآن مقوما للنهضة بين تفسير المنار والظلال

انطلق كل من صاحبي المنار وصاحب الظلال في نظرتهم النهضوية من يقين لا يقبل الشك ألا وهو أن القرآن الكريم هو دستور هذه الأمة وهو منهاج حياتها، وأثبتا أن التعمق والفهم الواعي للقرآن الكريم إنما هو الأساس لكل نهضة ورقي حيث يبعث في النفس القدرة على الصعود والارتقاء، واتفقا تمام الاتفاق على هذا المبدأ، واتفقا أيضا على أن الهبوط والانخفاض لا يأتينا إلا عندما نبتعد عن تعاليم الدين والقرآن.

ويؤكد صاحب المنار أن المسلمين ما وصلوا إلى هذا الانحطاط والضعف إلا حينما أعرضوا عن هذا القرآن، فيقول في مقدمة تفسيره: "وإننا نعتقد أن المسلمين ما ضعفوا وزال ما كان لديهم من الملك الواسع إلا بإعراضهم عن هداية القرآن، وأنه لا يعود إليهم شيء مما فقدوه من العز والسيادة والكرامة إلا بالرجوع إلى هدايته، والاعتصام بحبله"[٣٣].

(٣١) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن : ٧/٢

(٣٢) انظر مناهل العرفان في علوم القرآن : ٦/٢

(٣٣) انظر المنار ٢٦/١.

ويوضح الأثر الإيجابي للتمسك بالقرآن والأثر السلبي لتركه والبعد عنه فيقول في سياق إجماله للأصول والقواعد الشرعية العامة في سورة البقرة: "إن الإيمان الحق والاعتصام بدين الله تعالى المنزل كما أنزله يقتضي الوحدة والاتفاق وترك الاهتداء به يورث الاختلاف والشقاق، وشواهده من السورة[٣٤] قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُواْ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ﴾[٣٥]، وقوله: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ نَزَّلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُواْ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾[٣٦]."[٣٧].

ويدعو الشيخ رشيد رضا إلى الاتحاد حول كتابه تعالى والاجتماع عليه لا على غيره؛ إذ اعتماد غيره في تجميع الشمل وتكوين الوحدة لا يجدي من دون ذلك شيئا، وإنما السبيل هو الالتفاف حول كتاب الله تعالى، فيقول في مقدمة التفسير: "يجب علينا أن نجعل اجتماعنا ووحدتنا بكتابه، عليه نجتمع وبه نتحد، لا بجنسيات نتبعها، ولا بمذاهب نبتدعها، ولا بمواضعات نضعها ولا لسياسات نخترعها، ولقد نهانا سبحانه عن التفرق والانفصام بعد هذا الاجتماع والاعتصام لما في التفرق من زوال الوحدة التي هي معقد العزة والقوة، وبالعزة يعتز الحق فيعلو في العالمين وبالقوة يحفظ هو وأهله من هجمات المواثبين، وكيد الكائدين"[٣٨].

ويرجع الشيخ رشيد رضا ترك الاهتداء بالقرآن والابتعاد عنه إلى سببين رئيسين هما ترك العلماء التذكير به والوعظ به وإعلام غيرهم ما فيه من كنوز تدفع الأمة إلى التقدم والنهضة، وتقليد آخرين للغرب واتباعهم شبرا بشبر وذراعا بذراع في هجر القرآن؛ إذ أوحوا إليهم زورا وبهتانا أن القرآن الكريم والتمسك به سبب تخلف الأمة وكبوتها ففي سياق تفسيره لقوله تعالى ﴿ فَمَا كَانَ دَعْوَىٰهُمْ إِذْ جَآءَهُم بَأْسُنَآ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾[٣٩] يتساءل قائلا: "أين هي هداية القرآن، وقد ترك تذكيرها به العلماء، فهجره الدهماء، وجهل أحكامه وحكمه الملوك والأمراء، ثم نبتت فيها نابتة لا تدري

(٣٤) يقصد سورة البقرة.
(٣٥) سورة البقرة ١٣٧/٢.
(٣٦) سورة البقرة ١٧٦/٢.
(٣٧) المنار ٩٥/١.
(٣٨) انظر المنار ١٧/٤.
(٣٩) سورة الأعراف ٥/٧

الكتاب ولا الإيمان. أقنعهم أساتذتهم أعداء الإسلام، بأن لا **سبب لهبوطها وسقوطها** إلا اتباع القرآن، فأضلوهم السبيل ولفتوهم عن الدليل، فذنب هؤلاء أنهم يجهلونه، وذنب أولئك أنهم لا يقيمونه، هؤلاء مقلدة للأجانب الطامعين الخادعين وأولئك مقلدة لشيوخ الحشوية الجامدين، فمتى تنتشر دعوة المصلحين أولي الاستقلال، فتجمع الكلمة بما أوتيت من الحكمة والاعتدال، على قول الكبير المتعالي ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ ۗ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾ (٤٠)"(٤١).

ويعرض الشيخ رضا لأثر القرآن في العرب ففي سياق تفسيره لقوله تعالى ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ (٤٢)يقول: "لولا القرآن لما خرجت العرب من ظلمات جاهليتها وبداوتها وتيهها إلى ذلك النور الذي صلحت به وأصلحت أمما كثيرة بالدين والعلوم والفنون والآداب بما أحيت من علوم الأوائل وفنونها وأصلحت من فاسدها فصدق عليهم تعريف الدين المشهور بأنه: وضع إلهي سائق لذوي العقول السليمة باختيارهم إلى ما فيه بخاصهم في الحال وفلاحهم في المآل أو إلى سعادة الدارين. ولقد كان من العجب أن يغفل الكثيرون عن سبب هذه الحضارة أو يجهلوا أنه القرآن. حتى كان الجهل لسببها لإضاعته وإضاعتها وأمسى المسلمون من أجهل الشعوب وأفقرهم وأضعفهم، وأقلهم خدمة لدينهم – ففدية دينهم أن تكون لهم زينة الدنيا وطيباتها وسيادتها وملكها، وأن يكونوا فيها شاكرين لله عليها، قائمين بها يرضيه من الحق والعدل والخير والبر وكل ما تقتضيه خلافته في الأرض بذلك يكونون أهلا لسعادة الدنيا والآخرة، والدنيا مزرعة الآخرة كما قال أحد حكماء دينهم ثم انتهى الجهل بالكثيرين من أهل هذا العصر منهم ومن غيرهم أن صاروا ينظرون أن دين الإسلام هو سبب ضعف المسلمين وجهلهم وذهاب ملكهم"(٤٣).

(٤٠) سورة الرعد ١١/١٣.

(٤١) انظر المنار ٢٧٩/٨.

(٤٢) سورة الأعراف ٣٢/٧.

(٤٣) انظر المنار ٣٥٠/٨.

وفي سياق تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴾[٤٤] يقول:"وها نحن أولاء قد كنا بهداية ديننا أمة عزيزة قوية متحدة، فمزقتنا الأهواء فضعفنا ثم ساعد الزمان بعض شعوبنا فاغترت وعلت ثم انخفضت وضعفت، وقد قام منها من ينذرنا ويذكرنا بآيات ربنا ويدعونا بها إلى ما يحيينا فأعرض أمراؤنا وعلماؤنا ومن ورائهم دهماؤنا ﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴾[٤٥]"[٤٦].

وفي سياق تفسيره لقوله تعالى ﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِن كُلِّ شَيْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴾[٤٧] يقول: "ولقد أخذ سلفنا القرآن فسادوا به جميع الأمم التي كان لها من القوى العددية والحربية والنظامية والمالية والصناعية ما ليس لهم، وإنما سادوا بالعمل بهدايته كما أراد الله تعالى- لا بالتغني بقرائته في المحافل، ولا بالتبرك المحض بالمصحف كما يفعل مقلدة الخلف الصالح إن من يأخذ القرآن بقوة يكون القرآن حجة له فيسعد به في الدنيا والآخرة ومن لا يأخذه بقوة يكون حجة عليه فيشقى بالإعراض عنه وهجر هدايته في الدنيا والآخرة ﴿ يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴾[٤٨]"[٤٩].

ويقول سيد قطب "إنه الهدم والشر والفساد حصيلة الفسوق عن طريق الله.. ومن ثم يستحق أهله أن يضلهم الله بما يهدي به عباده المؤمنين"[٥٠]. ويؤكد هذا في سياق تفسيره لقوله تعالى ﴿ الَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾[٥١] بقوله: "هذا مفرق الطريق

(٤٤) سورة الأعراف ٣٤/٧.
(٤٥) سورة القمر ٥.٤/٥٤
(٤٦) المنار ٣٦٢/٨.
(٤٧) سورة الأعراف ١٤٥/٧.
(٤٨) سورة البقرة ٢٦/٢.
(٤٩) انظر المنار ١٦٧/٩.
(٥٠) الظلال ٥٢/١.
(٥١) سورة البقرة ٢٧/٢.

الذي ينتهي إلى الفساد حتما فما يمكن أن يصلح أمر هذه الأرض، ومنهج الله بعيد عن تصريفها، وشريعة الله مقصاة عن حياتها، وإذا انقطعت العروة بين الناس وربهم على هذا النحو فهو الفساد الشامل للنفوس والأحوال، وللحياة والمعاش، وللأرض كلها وما عليها من ناس وأشياء"(٥٢).

ويؤكد أن القرآن الكريم "كتاب دعوة، ودستور نظام ومنهج حياة، لا كتاب رواية ولا تسلية ولا تاريخ. وفي سياق الدعوة يجيء القصص المختار بالقدر وبالطريقة التي تناسب الجو والسياق، وتحقق الجمال الفني الصادق الذي لا يعتمد على الخلق والتزويق، ولكن يعتمد على إبداع العرض، وقوة الحق وجمال الأداء"(٥٣).

وهذا ما اتفق معه رشيد رضا في تفسيره اتفاقا يكاد يصل إلى حد التماثل؛ حيث يقول في مقدمة تفسيره: "والتفسير الذي نطلبه هو فهم الكتاب من حيث هو دين يرشد الناس إلى ما فيه سعادتهم في حياتهم الدنيا وحياتهم الآخرة، فإن هذا هو المقصد الأعلى منه، وما وراء هذا من المباحث تابع له وأداة أو وسيلة لتحصيله"(٥٤).

ويؤكد سيد قطب هذا المعنى مرة أخرى؛ حيث يقول في مطلع تفسيره لسورة آل عمران: "هذا القرآن هو كتاب هذه الدعوة – هو روحها وباعثها، وهو قوامها وكيانها، وهو حارسها وراعيها، وهو بيانها وترجمانها، وهو دستورها ومنهجها، وهو في النهاية المرجع الذي تستمد منه الدعوة – كما يستمد من الدعاة –وسائل العمل، ومناهج الحركة، وزاد الطريق.. ومعجزة القرآن البارزة تكمن في أنه نزل لمواجهة واقع معين في حياة أمة معينة، في فترة معينة من فترات التاريخ محددة، وخاض بهذه الأمة معركة كبرى حولت تاريخها وتاريخ البشرية كله معها، ولكنه – مع هذا – يعايش ويواجه ويملك أن يوجه الحياة الحاضرة، وكأنما هو يتنزل اللحظة لمواجهة الجماعة المسلمة في شؤونها الجارية، وفي صراعها الراهن مع الجاهلية من حولها، وفي معركتها كذلك في داخل النفس، وفي عالم الضمير، بنفس الحيوية، ونفس الواقعية التي كانت له هناك يومذاك"(٥٥).

(٥٢) الظلال ١/٥٢.

(٥٣) الظلال ١/٥٥.

(٥٤) المنار ١/١٧.

(٥٥) الظلال ١/٣٤٨.

وثمة قول لصاحب المنار يؤكد الاتفاق مع صاحب الظلال في هذه النقطة أيضًا؛ حيث يقول: "كان أرقى حكام الروم والفرس وغيرهم علما وفنا وأدبا وسياسة يفسد في الأرض، ويعبث بالمال والعرض، أو كما قال الله تعالى: ﴿ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾ (٥٦)، وكان المسلم العربي يتولى حكم بلد أو ولاية، وهو لا علم عنده بشيء من فنون الدولة، ولا من قوانين الحكومة ولم يمارس أساليب السياسة، ولا طرق الإدارة، وإنما كل ما عنده من العلم بعض من القرآن، فيصلح من تلك الولاية فسادها، ويحفظ أنفسها وأموالها وأعراضها، وإذا صلحت النفس البشرية أصلحت كل شيء تأخذ به، وتتولى أمره"(٥٧).

ويقول صاحب مناهل العرفان "أن القرآن الكريم انتهج طريقًا عجيبًا في إصلاحه، وسلك سياسة حكيمة وصل بها من مكان قريب إلى ما أراد من هداية الخلق، فتذرع بجميع الوسائل المؤدية إلى نجاح هذا الإصلاح الوافي بكل ما يحتاج إليه البشر، مما يدل بوضوح على أن القرآن في سياسته هذه لا يمكن أن يصدر عن نفس محمد ولا غير محمد"(٥٨).

ونحن بصفتنا مسلمين نحمد الله على نعمة الإسلام وعلى هداية القرآن "فالمجتمعات المحرومة من تلك النعمة مجتمعات بائسة – ولو غرقت في الرغد المادي – خاوية – ولو تراكم فيها الإنتاج – قلقة – ولو توافرت لها الحريات والأمن والسلام الخارجي – وأمامنا في أمم الأرض شواهد على هذه الظاهرة لا ينكرها إلا مراوغ يتنكر للحق والعيان"(٥٩).

ومن ثم يتجلى" أن هذا القرآن هو قرآن هذه الدعوة في أي مكان وفي أي زمان. وهو دستور هذه الأمة في أي جيل ومن أي قبيل، وهو حادي الطريق وهادي السبيل على توالي القرون.. ذلك أنه خطاب الله الأخير لهذا الإنسان في جميع العصور"(٦٠).

(٥٦) سورة البقرة ٢٠٥/٢

(٥٧) انظر المنار ٧/١.

(٥٨) مناهل العرفان ٣٠٢/٢.

(٥٩) انظر الظلال ٣٤٣/١.

(٦٠) انظر الظلال ٣٥٠/١.

ويؤكد صاحب الظلال في سياق تفسيره لقوله تعالى ﴿ كَمَآ أَرۡسَلۡنَا فِيكُمۡ رَسُولٗا مِّنكُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمۡ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ ﴾[٦١] أن "هذا القرآن – مع توجيهات الرسول المستمدة كذلك من القرآن – هو مادة التوجيه والتعليم، وكان مسجد رسول الله – صلى الله عليه وسلم – الذي يتلى فيه القرآن والتوجيهات المستمدة من القرآن – هو الجامعة الكبرى التي تخرج فيها ذلك الجيل الذي قاد البشرية تلك القيادة الحكيمة الراشدة: القيادة التي لم تعرف لها البشرية نظيرًا من قبل ولا من بعد في تاريخ البشرية الطويل"[٦٢].

"وجملة القول: أن القرآن يبين حقائق ما عليه الأمم في عقائدها وأخلاقها، يزن ذلك بالقسطاس المستقيم، والدقة التي نراها في تحريه الحقيقة لم نعهدها في كتاب عالم ولا مؤرخ، فإذا نحن جمعنا ما حكم به على أهل الكتاب وغيرهم وعرضناه على علمائهم وفلاسفتهم ومؤرخيهم فإنهم يذعنون بأنه لباب الحقيقة، بل هم يصرحون بأنه لولا غلبة الضلال والفسق والكفر عليهم في عصر ظهور الإسلام لما انتشر ذلك الانتشار السريع. ولكن وجد فينا من طمس هذه المزية وجعلوا كل ما ينكره بالقرآن من فساد الأمم من قبيل هجو غير المسلمين، وكل ما يحمده هو خاص بالمسلمين، حتى كأنه شعر لا يقصد منه إلا مدح أناس وذم آخرين، ولهذا ينفرون غير المسلمين من الإسلام ويحولون بين المسلمين وبين العبرة والاتعاظ وفيهم الحقائق"[٦٣].

"ومن هذا يتبين أن طبيعة الدين – أي دين – أن يتضمن تنظيمًا لحياة الناس بالتشريع وألا يقتصر على الجانب التهذيبي الأخلاقي وحده، ولا على المشاعر الوجدانية وحدها، ولا على العبادات والشعائر وحدها كذلك – فهذا لا يكون دينًا، فما الدين إلا منهج الحياة الذي أراده الله للبشر، ونظام الحياة الذي يربط حياة الناس بمنهج الله"[٦٤].

ومما لا ريب فيه أننا "أحوج ما نكون إلى الإحساس بالقرآن على هذا النحو، وإلى رؤيته كائنا حيا متحركا دافعا فقد بعد العهد بيننا وبين الحركة الإسلامية والحياة

(٦١) سورة البقرة ١٥١/٢.
(٦٢) انظر الظلال ١٣٩/١.
(٦٣) المنار ٥٤/٤.
(٦٤) الظلال ٤٠٠/١.

الإسلامية والواقع الإسلامي، وانفصل القرآن في حسنا عن واقعة التاريخي الحي مات القرآن في حسنا أو نام ولم تعدله تلك الصورة الحقيقية التي كانت ودرجنا على أن نتلقاه إما ترتيلا منغما نطرب له، أو نتأثر التأثر الوجداني الغامض السارب! وإما أن نقرأه أورادًا أقصى ما تصنع في حس المؤمنين الصادقين منا أن تنشئ في القلب حالة من الوجد أو الراحة أو الطمأنينة المبهمة المجملة.. والقرآن ينشئ هذا كله ولكن المطلوب أن ينشئ في المسلم وعيًا وحياة. نعم المطلوب أن يتوجه إليه المسلم ليسمع منه ماذا ينبغي أن يعمل"[٦٥].

ولا يفتأ صاحب الظلال يؤكد أن هذا المنهج "ما يزال الذي خرج ذلك الجيل وتلك القيادة على استعداد لتخريج أجيال وقيادات على مدار الزمان، ولو رجعت الأمة المسلمة إلى هذا المعين، ولو آمنت حقا بهذا القرآن، ولو جعلته منهجًا للحياة لا كلمات تغنى باللسان لتطريب الآذان"![٦٦].

ومن الجلي الواضح أن صاحب الظلال قد تمسك بهذا الرأي عن القرآن ومنهجه حتى إننا لا نجد بضع صفحات من أول التفسير إلى آخره إلا وبها هذا الرأي؛ حيث يقول أيضًا "ويتجلى أن هذا القرآن هو قرآن هذه الدعوة. ومرجع هذه الأمة – اليوم وغدًا – كما كان قرآنها ومرجعها بالأمس في نشأتها الأولى – وأنه لا يعرض عن استنصاح هذا الناصح واستشارة هذا المرجع في المعركة الناشبة اليوم إلا مدخول يعرض عن سلاح النصر في المعركة؛ ويخدع نفسه أو يخدع الأمة؛ لخدمة أعدائها القدامى المحدثين في غفلة بلهاء أو في خبث لئيم"[٦٧]. ويستمر صاحب الظلال في تأكيد دستورية القرآن الكريم وفي الحث على التعمق ودراسة القرآن بعين نافذة بصيرة حيث يقول "وما أحوج الأمة المسلمة في كل وقت إلى تحلي هذه التوجيهات، وإلى دراسة هذا القرآن بالعين المفتوحة والحسن البصير، لتتلقى منه تعليمات القيادة الإلهية العلوية في معاركها التي تخوضها مع أعدائها التقليديين؛ ولتعرف منها كيف ترد الكيد العميق الخبيث الذي يوجهونه إليها دائبين، بأخفى الوسائل، وأمكر الطرق، وما يملك قلب لم يهتد بنور الإيمان، ولم يتلق التوجيه من تلك القيادة المطلعة على السر و

(٦٥) الظلال ٣٠٥/١.

(٦٦) الظلال ١٣٩/١.

(٦٧) انظر الظلال ٣٥٢/١.

العلن والباطن والظاهر، أن يدرك المسالك والدروب الخفية الخبيثة التي يتدسس فيها ذلك الكيد الخبيث المريب." (٦٨).

ويؤكد صاحب الظلال أن القرآن الكريم إنما هو صالح لكل قواعد التعامل سواء الداخلي أو الدولي، وأن القرآن صالح في كل زمان ومكان؛ حيث يقول أنه لابد أن "ندرك طبيعة المعركة التي كان يخوضها القرآن، وطبيعة الغاية التي كان يستهدفها في بناء الأمة المسلمة وهي معركة ضخمة مع الدسائس والفتن والألاعيب والبلبلة و التلبيس والكذب خاضها القرآن ضد أعدائها هي ذاتها المعركة التي يمكن أن يخوضها في كل زمان ومكان ويظل القرآن كتاب هذه الأمة العامل في حياتها، وقائدها الحقيقي في طريقها الواقعي، ودستورها الشامل الكامل، الذي تستمد منه منهج الحياة، ونظام المجتمع، وقواعد التعامل الدولي والسلوك الأخلاقي والعملي"(٦٩).

ويؤكد صاحب الظلال أن هذا المنهج الرباني إنما هو عنصر التميز والتفرد للأمة المسلمة حيث يقول "هذا المنهج هو الذي يميز الأمة المستخلفة الوارثة لتراث العقيدة الشهيدة على الناس، المكلفة بأن تقود البشرية كلها إلى الله.. وتحقيق هذا المنهج في حياة الأمة المسلمة هو الذي يمنحها ذلك التميز في الشخصية والكيان وفي الأهداف والاهتمامات وفي الراية والعلامة. وهو الذي يمنحها مكان القيادة الذي خلقت له، وأخرجت للناس من أجله وهي بغير هذا المنهج ضائعة في الغمار مبهمة الملامح، مجهولة السمات، مهما اتخذت لها من أزياء ودعوات وأعلام"(٧٠).

ومن الجلي عند صاحب الظلال حثه للأمة المسلمة أن تفيء إلى هذا المنهج حيث إنه ليس لها من وثبة ولا رقي تحت أية راية أُخرى؛ حيث يقول "ولقد ضمن الإسلام للبشرية أعلى أفق في التصور، وأقوم منهج في الحياة، فهو يدعو البشرية كلها أن تفيء إليه، وما كان تعصبا أن يطلب الإسلام وحده البشرية على أساسه هو لا على أي أساس آخر؛ وعلى منهجه هو لا على أي منهج آخر، وتحت رايته هو لا تحت راية أخرى، فالذي يدعوك إلى الوحدة في الله، والوحدة في الأرفع من التصور، والوحدة في الأفضل من النظام، ويأبى أن يشتري الوحدة بالحيدة عن منهج الله، والتردي في

(٦٨) الظلال ١/٦٥.

(٦٩) انظر الظلال ١/١٢٤.

(٧٠) انظر الظلال ١/١٢٩.

مهاوي الجاهلية... ليس متعصبًا. أو هو متعصب. ولكن لا خير والحق والصلاح"[٧١].
وينبه صاحب الظلال على أن الإسلام ليس كلمة تقال بدون عمل وفعل؛ حيث يقول: "وفكرة الإسلام برنامج حياة كامل، لا كلمة تقال باللسان بلا رصيد من العمل الإيجابي المصدق لهذه الكلمة الطيبة الكبيرة"

ويفسر صاحب الظلال[٧٢] هذه الآية ﴿ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَفِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴾ [٧٣]، ويقول شقاق مع الحق، وشقاق مع ناموس الفطرة، وشقاق فيما بينهم وبين أنفسهم... ولقد كانوا كذلك وما يزالون. وتلحق بهم كل أمة تختلف في كتابها. فلا تأخذ به جملة، وتمزقه تفاريق.. وعد الله الذي يتحقق على مدار الزمان واختلاف الأقوام ونحن نرى مصداقه واقعًا في هذا العالم الذي نعيش فيه" [٧٤]. ومن المهم أن يعي كل فرد من أفراد الأمة المسلمة "أن هذا القرآن قرآننا. قرآن الأمة المسلمة وهو كتابها الخالد الذي يخاطبها فيه ربها بما تعمله وما تحذره وأهل الكتاب هم أهل الكتاب والكفار هم الكفار والدين هو الدين"[٧٥]. ومما لا شك فيه أن تدبر القرآن عاصم من السقوط الحضاري بتعبير الشيخ محمد الغزالي حيث يقول "ولو تدبر المسلمون بالقرآن تمامًا، لما حلَّ بهم ما حلَّ من الاستسلام، والسقوط، والاستبداد السياسي، والظلم الاجتماعي.. لكانوا في مستوى قرآنهم وما قصَّ عليهم من قصص ليأخذوا العبرة فتحول دون وقوعهم فيما وقع به الأقوام السابقون لكن المشكلة: أن القرآن بقى معزولاً عن حياة المسلمين، فلم ينتبهوا إلى مثل هذه القضايا"[٧٦].

ولعلي لا أبالغ حين أقول إن الحس الأدبي عند الأستاذ سيد قطب قد ألقى بظلاله الندية على عباراته فجاءت تمس القلب وتهز الوجدان حيث يقول "إن البشرية اليوم تعاني من الخواء المرير خواء الروح من الحقيقة التي لا تطيق فطرتها أن تصبر عليها حقيقة الإيمان.. وخواء حياتها من المنهج الإلهي. هذا المنهج الذي ينسق بين حركتها وحركة الكون الذي تعيش فيه. إنها تعاني من الهجر المحرق الذي تعيش فيه

(٧١) انظر الظلال ١/١٢٩.
(٧٢)انظر الظلال ١/١٤٠.
(٧٣) سورة البقرة ٢/١٧٦.
(٧٤) انظر الظلال ١/١٥٨.
(٧٥) انظر الظلال ١/١٣٦.
(٧٦) كيف نتعامل مع القرآن ١٨٣.

بعيدًا عن ذلك الظل الوارف الندي ومن الفساد المقلق الذي تتمرغ فيه بعيدًا عن ذلك الخط القويم والطريق المأنوس المطروق! ومن ثم نجد الشقاء والقلق والحيرة والاضطراب؛ وتحسن الخواء والجوع والحرمان وتهرب من واقعها هذا بالأفيون و الحشيش والمسكرات؛ وبالسرعة المجنونة والمغامرات الحمقاء والشذوذ في الحركة واللبس والطعام وذلك على الرغم من الرخاء المادي والإنتاج الوفير والحياة الميسورة والفراغ الكثير.. لا بل إن الخواء والقلق والحيرة لتتزايد كلما تزايد الرخاء المادي والإنتاج الحضاري واليسر في وسائل الحياة ومرافقها. إن هذا الخواء المرير ليطارد البشرية كالشبح المخيف. يطاردها فتهرب منه ولكنها تنتهي كذلك إلى الخواء المرير وما من أحد يزور البلاد الغنية الثرية في الأرض حتى يكون الانطباع الأول في حسه أن هؤلاء قوم هاربون! هاربون من أشباح تطاردهم. هاربون ذوات أنفسهم.. وسرعان ما ينكشف الرخاء المادي والمتاع الحسي الذي يصل إلى حد التمرغ في الوحل، عن الأمراض العصبية والنفسية والشذوذ والقلق والمرض والجنون والمسكرات و المخدرات والجريمة وفراغ الحياة من كل تصور كريم إنهم لا يجدون أنفسهم لأنهم لا يجدون غاية وجودهم الحقيقية إنهم لا يجدون سعادتهم لأنهم لا يجدون المنهج الإلهي الذي ينسق بين حركتهم وحركة الكون وبين نظامهم وناموس الوجود إنهم لا يجدون طمأنينتهم لأنهم لا يعرفون الله الذي إليه يرجعون"[٧٧]. ويؤكد صاحب الظلال أن هناك محاولات شرسة لإبعادنا عن منهج الله الهادي حيث يقول "وهذه البشرية هي التي يعمل ناس منها على حرمانها من منهج الله الهادي وهم الذين يسمون التطلع إلى هذا المنهج "رجعية" ويحسبونه مجرد حنين إلى فترات ذاهبة من فترات التاريخ وهم بجهالتهم هذه أو بسوء نيتهم يحرمون البشرية التطلع إلى المنهج الوحيد الذي يمكن أن يقود خطاها إلى السلام و الطمأنينة كما يقود خطاها إلى النمو والرقي ونحن الذين يؤمن بهذا المنهج نعرف إلى ماذا يدعو إننا نرى واقع البشرية النكد، ونشم راحة المستنقع الآسن الذي تتمرغ فيه ونرى هنالك على الأفق الصاعد راية النجاح تلوح للمكد ودين في هجير الصحراء المحرق والمرتقى الوضيء النظيف يلوح للغارقين في المستنقع ويرى قيادة البشرية إن لم ترد إلى هذا المنهج فهي في طريقها إلى الارتكاس

(٧٧) انظر الظلال ١/٤٢١.

الشائن لكل تاريخ الإنسان ولكل معنى من معاني الإنسان"[٧٨]، ونجد صاحب الظلال ينعي ما وصل إليه حال الأمة حيث يقول "وما أرى أننا – الذين ندعي الإسلام لأننا نحمل أسماء المسلمين ونعيش في أرض كان يسكنها المسلمون بينما نحن لا نجعل الإسلام في شيء من منهجنا في الحياة.. ما أحسبنا ونحن ندعي الإسلام فنشوه الإسلام بصورتنا وواقعنا؛ ونؤدي ضده شهادة منفرة منه إثم ونحن ندعي أن الله مختار لنا لأننا أمة محمد – صلى الله عليه وسلم- ومنهجه مطرود من واقع حياتنا طردًا.. وما أحسبنا إلا في مثل هذا الموضع الذي يعجب الله – سبحانه – منه ورسوله – صلى الله عليه وسلم – ويدمغ أصحابه بافتراء الكذب على الله وارتكاب هذا الإثم المبين! والعياذ بالله!

إن دين الله منهج حياة وطاعة الله في تحكيم هذا المنهج في الحياة والقرب من الله لا يكون إلا بطاعته فلننظر أين نحن من الله ودينه ومنهجه.. ثم لننظر أين نحن من حال هؤلاء اليهود، الذين يعجبُ الله من حالهم ويدمغهم بإثم الافتراء عليه في تزكيتهم لأنفسهم فالقاعدة هي القاعدة والحال هي الحال وليس لأي لأحد عند الله نسب ولا صهر ولا محاباة!!"[٧٩]. فنرى صاحب الظلال يوظف المقارنة بين حال اليهود وحال المسلمين اليوم في تبيين أهمية العودة إلى هذا الدين والنهل من نبعه الصافي واتباع تعاليمه كما أنزلها الله سبحانه وتعالى للتباين والتمايز عن اليهود والوقوف حيثما أراد الله ورسوله لنا أن نقف فلا خلاص ولا منجى ولا ملاذ لهذه الأمة إلا بهذا الدين. وحال الأمة التي تتخلى عن منهج ربها الذي رسمه لها لا يرقى أن يكون كحال الطفل الذي يحاول الاعتماد على نفسه للوقوف والنماء فالأمة المتخلية تخالف بتخليها الفطرة التي وجدت عليها بينما الطفل يستجيب بداعي الفطرة فيه ويقول صاحب الظلال في ذلك "ومن عجب أن يأتي على هذا الإنسان زمان يزعم لنفسه أنه استغنى عن ربه.. استغنى عن رعايته وفضله ورحمته وبره.. استغنى عن هدايته ودينه ورسله.. استغنى بالأداة التي علم ربه أنها لا تغنيه – ما لم يقوّم بمنهج الله – فلم يكتب عليه عقابًا إلا بعد الرسالة والبيان.. فيتمثل لنا الطفل الذي يحس ببعض القوة في ساقيه فيروح يبعد عنه اليد التي تسنده، ليتكفأ ويتعثر! غير أن الطفل في هذا المثال أرشد

(٧٨) انظر الظلال ٤٣٧/١.

(٧٩) الظلال ٦٨٠/٢.

وأطوع للفطرة إذ أنه بمحاولة الاستقلال عن اليد التي تسنده يجيب داعي الفطرة في استحثاث طاقات كامنة في كيانه؛ وإنما قدرات ممكنة النماء؛ وتدريب عضلات وأعصاب تنمو وتقوى بالتدريب.. أما إنسان اليوم الذي يبعد عنه يد الله، ويتنكب هداه، فإن كينونته – بكل ما يكمن فيها من قوى – يعلم الله أنها لا تشمل على قوة مكنونة تملك الاستغناء عن يد الله وهداه.. وقصارى ما في قواه أنها ترشد وتضبط وتستقيم برسالة الله. وتضل وتختل وتضطرب إذا هي استقلت بنفسها، وتنكبت هداه!" (٨٠).

وقد أكد صاحب الظلال أن القرآن الكريم ليس مجرد كلمات تتلى بل هو شامل لكل شيء من قيام دولة إلى روابط مجتمع وعلاقات أمم وأنه دين ودنيا حيث يقول "نزل هذا القرآن الكريم على قلب رسول الله – صلى الله عليه وسلم – لينشئ به أمة؛ وليقيم به دولة؛ ولينظم به مجتمعًا؛ وليربي به ضمائر وأخلاقًا وعقولاً؛ وليحدد به روابط ذلك المجتمع؛ فيما بينه؛ وروابط تلك الدولة مع سائر الدول؛ وعلاقات تلك الأمة بشتى الأمم.. وليربط ذلك كله برباط قوي واحد، يجمع متفرقه، يؤلف أجزاءه ويشدها كلها إلى مصدر واحد، وإلى سلطان واحد وإلى جهة واحدة.. وذلك هو الدين، كما هو في حقيقته عند الله، وكما عرفه المسلمون"(٨١).

ولقد أبرز صاحب الظلال الأسباب الرئيسة لكون هذا المنهج القرآني هو القادر على احتواء جميع التطورات والنشاطات والهيمنة على نشاط الحياة كله حيث يقول "إن هذا المنهج الإلهي المشتمل على التصور الاعتقادي، والشعائر التعبدية، والشرائع المنظمة لنشاط الحياة كله؛ يحكم ويصرف ويهيمن على نشاط الحياة كله؛ وهو يسمح للحياة بأن تنمو في إطاره وترتقي وتتطور؛ دون خروج على أصل فيه ولا فرع، لأنه جاء لهذا، ولهذا كان آخر رسالة للبشر أجمعين.. إن تطور الحياة في ظل هذا المنهج لا يعني مجافاتها أو إهمالها لأصل فيه ولا فرع، ولكن يعني أن طبيعة المنهج تحتوي كل الإمكانيات التي تسع ذلك التطور بلا خروج عن أصل أو فرع. ويعني أن كل تطور في الحياة كان محسوبًا حسابه في ذلك المنهج؛ لأن الله – سبحانه – لم يكن يخفى عليه – وهو يضع هذا المنهج في صورته الأخيرة، ويعلن إكماله وارتضاءه للناس دينًا – أن هناك تطورات سيقع، وإن هناك حاجات ستبرز، وأن هناك مقتضيات ستتطلبها

(٨٠) انظر الظلال ٨١١/٢.

(٨١) انظر الظلال ٨٢٥/٢.

هذه التطورات والحاجات. فلابد إذن أن يكون هذا المنهج قد احتوى هذه المقتضيات جميعًا"[٨٢].

ويؤكد صاحب الظلال مرارًا أن ما نعانيه الآن إنما هو بسبب البعد عن هذا القرآن لأن القرآن هو القائد الحقيقي إلى كل خير وتطور ورقي وأنه الوحيد الكاشف لهذه الأمة عن أعدائها وأننا حين نهجر هذا القرآن فإن ما يحدث لنا من الاضطراب والظلال والانحطاط إنما يكون عقوبة مستحقة لنا لتخلينا عنه حيث يقول " إن هذا القرآن هو معلم هذه الأمة ومرشدها ورائدها وحادي طريقها على طول الطريق. وهو يكشف لها عن حال أعدائها معها، عن جبلتها وعن تاريخهم مع هدى الله كله. ولو ظلت هذه الأمة تستشير قرآنها، وتسمع توجيهاته؟ وتقيم قواعده وتشريعاته في حياتها، ما استطاع أعداؤها أن ينالوا منها في يوم من الأيام.. ولكنها حين نقضت ميثاقها مع ربها وحين اتخذت القرآن مهجورًا.. وإن كانت ما تزال تتخذ منه ترانيم مطربة، وتعاويذ ورقي وأدعية! – أصابها ما أصابها"[٨٣].

ويثبت صاحب الظلال أن المنهج الذي تصلح به الحياة والنفوس له طرفان متلازمان لا ينفك إحداهما عن الآخر ألا وهما صلاح الحياة وصلاح القلوب وكتاب الله جلَّ وعز هو القادر على تحقيق كلا الطرفين ولا صلاح إلا به حيث يقول "والتمسك بالكتاب في جد وقوة وصرامة؛ وإقامة الصلاة – أي شعائر العبادة – هما طرفا المنهج الرباني لصلاح الحياة.. والتمسك بالكتاب في هذه العبارة مقرونًا إلى الشعائر يعني مدلولًا معينًا. إذ يعني تحكيم هذا الكتاب في حياة الناس لإصلاح هذه الحياة، مع إقامة شعائر العبادة لإصلاح قلوب الناس، فهما طرفان للمنهج الذي تصلح به الحياة والنفوس، ولا تصلح بسواه..﴿إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ﴾ [٨٤]."[٨٥]. ويستمر في الإثبات والتأكيد حيث يقول "إنه منهج متكامل يقيم الحكم على أساس الكتاب، ويقيم القلب على أساس العبادة.. ومن ثم تتوافى القلوب مع الكتاب؛ فتصلح القلوب

(٨٢) الظلال ٨٣٣/٢.

(٨٣) الظلال ٨٥٩/٢.

(٨٤) سورة الأعراف ١٧٠/٧

(٨٥) انظر الظلال ١٣٨٨/٣.

وتصلح الحياة، إنه منهج الله، لا يعدل عنه ولا يستبدل به منهجًا آخر، إلا الذين كتبت عليهم الشقوة وحق عليهم العذاب"(٨٦).

ويؤكد صاحب الظلال أن القرآن الكريم هو المصدر الوحيد للمعرفة والتربية وأن هذا القرآن أنشأ جيلاً فريدا لم يتكرر حيث يقول "لقد كان هذا الكتاب هو مصدر المعرفة والتربية والتوجيه والتكوين الوحيد لجيل من البشر فريد.. جيل لم يتكرر بعد في تاريخ البشرية – لا من قبل ولا من بعد – جيل الصحابة الكرام الذين أحدثوا في تاريخ البشرية ذلك الحدث الهائل العميق الممتد، ولقد كان المجتمع الذي تألف من ذلك الجيل أول مرة والذي ظل امتداده أكثر من ألف عام تحكمه الشريعة التي جاء بها هذا الكتاب ويقوم على قاعدة من قيمة وموازينه وتوجيهاته وإيحاءاته.. كان هذا المجتمع معجزة أخرى في تاريخ البشرية حين تقارن إليه صور المجتمعات البشرية الأخرى التي تفوقه في الإمكانيات المادية – بحكم نمو التجربة البشرية في عالم المادة – ولكنها لا تطاوله في (الحضارة الإنسانية)"(٨٧).

وينتقل صاحب الظلال إلى توجيه الحديث إلى طلائع الأمة والأجيال الجديدة توجيهًا مباشرًا لأن يستقوا نظام حياتهم من القرآن الكريم فيقول: "وهكذا يمكن اليوم وغدًا أن يتحرك القرآن في طلائع البعث الإسلامي، ويحركها كذلك في طريق الدعوة المرسوم. إن هذه الطلائع في حاجة إلى هذا القرآن تستلهمه وتستوحيه تستلهمه من منهج الحركة وخطواتها ومراحلها؛ وتستوحيه في ما يصادف هذه الخطوات والمراحل من استجابات، وما ينتظرها من عاقبة في نهاية الطريق"(٨٨).

ويؤكد أن مغاليق القرآن لا تنفتح للقاعدة قعدة باردة ساكنة فيقول "والقرآن لا يعود مجرد كلام يتلى للبركة.. ولكنه ينتفض حيًّا يتنزل اللحظة على الجماعة المسلمة المتحركة، لتتحرك به، وتتابع توجيهاته، وتتوقع موعود الله فيه وهذا ما نعنيه بأن هذا القرآن لا يتفتح عن أسراره إلا للعصبة المسلمة التي تتحرك به لتحقيق مدلوله في عالم الواقع. لا لمن يقرءونه لمجرد التبرك! ولا لمن يقرءونه لمجرد الدراسة الفنية أو العلمية؛ ولا لمن يدرسونه لمجرد تتبع الأداء البياني فيه إن هؤلاء جميعًا لن يدركوا

(٨٦) انظر الظلال ١٣٨٩/٣.

(٨٧) انظر الظلال ١٤٢٣/٣.

(٨٨) انظر الظلال ١٩٤٨/٤.

من هذا القرآن شيئا يذكر. فإن هذا القرآن لم يتنزل ليكون مادة دراسة على هذا النحو! إنما تنزل ليكون مادة حركة وتوجيه"[٨٩].

ويؤكد أن معجزة الإسلام إنما هي القرآن حيث إنها معجزة مستمرة وغير مصحوبة بالخوارق لأنها رسالة لكل الأجيال المتتابعة إلى يوم القيامة حيث يقول "إن معجزة الإسلام هي القرآن. وهو كتاب يرسم منهجًا كاملاً للحياة ويخاطب الفكرة والقلب ويلبي الفطرة القويمة ويبقى مفتوحًا للأجيال المتتابعة تقرؤه وتؤمن به إلى يوم القيامة. أما الخارقة المادية فهي تخاطب جيلاً واحدًا من الناس وتقتصر على من يشاهدها من هذا الجيل. هذه التجارب البشرية اقتضت أن تجيء الرسالة الأخيرة غير مصحوبة بالخوارق لأنها رسالة الأجيال المقبلة جميعًا لا رسالة جيل واحد يراها ولأنها رسالة الرشد البشري تخاطب مدارك الإنسان جيلا بعد جيل وتحترم إدراكه الذي تتميز به بشريته والذي من أجله كرمه الله على كثير من خلقه".[٩٠].

وما يزال يؤكد أهمية كتاب الله والتمسك به لأنه رسالة عامة شاملة خاتمة حيث تنتهي معه عهود البشرية الحالكة الظلمة وتبدأ منه عهود النسور ويؤكد على تسمية القرآن بالفرقان ويوضح السبب حيث يقول "وسماه الفرقان بما فيه من فارق بين الحق والباطل والهدى والظلال بل بما فيه من تفرقه بين نهج في الحياة ونهج وبين عهد للبشرية وعهد فالقرآن يرسم منهجًا واضحًا للحياة كلها في صورتها المستقرة في الضمير وصورتها الممثلة في الواقع. منهجًا لا يختلط بأي منهج آخر مما عرفته البشرية قبله ويمثل عهدًا جديدا للبشرية في مشاعرها وفي واقعها لا يختلط كذلك بكل ما كان قبله فهو فرقان بهذا المعنى الواسع الكبير فرقان ينتهي به عهد الطفولة ويبدأ به عهد الرشد وينتهي به عهد الخوارق المادية ويبدأ به عهد المعجزات العقلية وينتهي به عهد الرسالات المحلية الموقوتة، ويبدأ به عهد الرسالة العامة الشاملة: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا﴾ [٩١]".[٩٢]. ويستمر في إبراز مفاتيح مغاليق هذا الكتاب فيقول "إن في القرآن كنوزًا ضخمة من الهدى والمعرفة والحركة والتوجيه والإيمان هو مفتاح هذه الكنوز ولن تفتح كنوز القرآن إلا بمفتاح الإيمان. والذين آمنوا حق الإيمان حققوا

(٨٩) انظر الظلال ١٩٤٨/٤.

(٩٠) انظر الظلال ٢٢٣٧/٤.

(٩١) سورة الفرقان ١/٢٥

(٩٢) انظر: الظلال ٢٥٤٧/٥.

الخوارق بهذا القرآن فأما حين أصبح القرآن كتابًا يترنم المترنمون بآياته فيصل إلى الآذان ولا تتعداها إلى القلوب فإنه لم يصنع شيئًا ولم ينتفع به أحد.. لقد ظل كنزًا بلا مفتاح"(٩٣).

وفي الختام "فإن هذا القرآن جاء ليكون كتاب الأمة المسلمة في حياتها إلى يوم القيامة. الكتاب الذي يبني لها تصورها الاعتقادي كما يبني نظامها الاجتماعي، كما يبني خطتها الحركية.. سواء.." (٩٤).

ومن كل ما سبق يتضح لنا كيف اهتم كل من صاحبي التفسيرين بالقرآن بصفته العامل الأول لنهضة الأمة إذ هو دستور خالقها لها، وللبشرية جمعاء، ولا صلاح من دونه ولا نهضة في تركه واتباع سواه؛ إذ كل ما عداه إن هو إلا هوى بشري.

المصادر والمراجع

١. مقاييس اللغة ، لأحمد بن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط٢، سنة ١٩٩٩م.
٢. العين للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق د. مهدي المخزومي ، ود. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال، بيروت، ط١.
٣. الأفعال ، لأبي القاسم علي بن جعفر السعدي، عالم الكتب، بيروت ط١، سنة ١٩٨٣م.
٤. لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت، ط١.
٥. القاموس المحيط، للفيروزابادي، مؤسسة الرسالة، بيروت.
٦. تاج العروس، للزبيدي، ط المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بالكويت
٧. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية ، القاهرة .
٨. لماذا أخفقت النهضة العربية، أحميدة النيفر ، ومحمد وقيدي ، دار الفكر دمشق.

(٩٣) الظلال ٢٦٢٦/٥.

(٩٤) انظر: الظلال ٩٢٣/٢. ولمزيد من الأمثلة، انظر: الظلال١/ ٩٣، ١٤٢، ١٤٩، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٦، ٢١٢، ٢١٣، ٢٦٦، ٢٢٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٨٣، ٣٠٥، ٣٠٨، ٣١٠، ٣١٢، ٣١٥، ٣١٧، ٣٥٠، ٣٥٢، ٣٥٧، ٣٦٥، ٣٧٢، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٩٠، ٣٩٥، ٤١٣، ٤١٥،و ٦٢٣/٢، ٦٥١، ٦٥٩، ٦٦٦، ٦٧٩، ٦٨٥، ٦٩٢، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٩، ٧٣٩، ٨٥٩، ٩٢٣، ٩١٣، ٩٧٦، ١٠١٠، ١٠١٢، ١٠١٤، ١٠١٦، ١٠٥٩، ١٠٨٥، ١١٥٣.و١٢٥٥/٣، ١٣٤١، ١٤٠٧، ١٤٢٢، ١٥١٩، ١٥٧٩، ١٧٨٨، ١٨٢٠. و١٨٦٤/٤، ١٩٤٨، ٢٠٢٠، ٢٠٣٨، ٢٠٦١، ٢١١٦، ٢١٦١، ٢٢٠٣، ٢٢٤٤، ٢٤٠١، ٢٤٤٦، ٢٥٣٠و٢٦٥٨/٥، ٢٦٦٥، ٢٧٠٤، ٢٧٤٦، ٢٨٢٢، ٢٩٧١، ٣١٤٤و٣٣٦٥/٦، ٣٤٦٦، ٣٥٥٢.

٩. الخطاب العربي المعاصر(دراسة تحليلية نقدية) ، محمد عابد الجابري، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت ط٤، سنة ١٩٩٣م
١٠. شروط النهضة، مالك بن نبي، ترجمة: عمر كامل مسقاري، وعبد الصبور شاهين، دار الفكر، ١٩٨٦م.
١١. الإسلام والتحديات المعاصرة، د.محمد عمارة، نهضة مصر، القاهرة، ط١، سنة ٢٠٠٥م.
١٢. أثر الاتجاه العقلي السلبي في تفسير المنار، ماجد صبحي عبد الغني الرنتيسي، رسالة ماجستير مخطوطة بمكتبة كلية أصول الدين، الجامعة الإسلامية بغزة، عام ٢٠٠١م.
١٣. التفسير والمفسرون، حسين الذهبي، مكتبة وهبة، القاهرة، ط٧، سنة ٢٠٠٠م.
١٤. تفسير المنار للشيخ رشيد رضا، الهيئة العامة المصرية للكتاب.
١٥. في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق، القاهرة.
١٦. في ظلال القرآن رؤية استشراقية فرنسية، أوليفيه كارييه، ترجمة محمد عجاج ، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة ، ط١، سنة١٩٩٣.
١٧. بحوث في أصول التفسير ومناهجه، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي ، مكتبة التوبة، الرياض، ط٤، سنة١٤١٩هـ.
١٨. سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد، صلاح الخالدي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٩٩٤م.
١٩. انظر الخلافة، محمد رشيد رضا، الزهراء للإعلام العربي، القاهرة، ط١، سنة ١٩٩٤م.
٢٠. مقال للدكتور إبراهيم الدويش منشور الموقع الإلكتروني لصحيفة الجزيرة السعودية، على الرابط التالي: *www.al-jazirah.com.sa/2008jazhd/may/30/is.htm*
٢١. الشبكة الدولية للمعلومات (إنترنت) : الرابط التالي :
www.islamweb.net/ver2/archive/readArt.php?id=10811/
حوار أجراه موقع إسلام ويب مع الدكتور محمود عكام المتخصص في الفكر الإسلامي، والأستاذ في جامعة حلب.
٢٢. مناهل العرفان في علوم القرآن،، محمد عبد العظيم الزرقان، دار الفكر، بيروت، ط١، سنة ١٩٩٦م.